

بسم الله الرحمن الرحيم

4

وعجلت إليك رب لترضى

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ،ها هو موعدنا مع الرسالة الرابعة بحول الله وقوته، ونعاود الحديث عن الله ونسبح معاً في بحر اسم الله الخالق. ومن آثار الإيمان بالخالق:

- أن تعلم أنك لست حراً في تصرفاتك، وإنما أنت ملك لسيدك الذي خلقك، فهو قد خلقك لغرض معين ثم سيرجعك إليه ليسألك ماذا فعلت فيه "أفحسبتم أننا خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون". فالأنفاس ستسأل عنها فأعد جواباً. ولكي نقرب المثال يجب علينا أن ندرك أمراً هاماً ألا وهو أننا خلق من خلق الله، فكثيراً ما يصاب المرء بأمراض العجب والغرور والرياء ولا ينشأ ذلك إلا من إحساسه أن له قيمة، ولتتضح هذه النقطة نقول لو أن نجاراً يصنع كرسي وأسرة ومناضد فإن من حق هذا النجار أن يهتم بتعهد وتنظيف الكرسي ويترك السرير، وذلك لا يدل على فضل الكرسي على السرير ولكن النجار هو الذي فضله، والله- له المثل الأعلى- كرم بني آدم وفضلهم على من خلق تفضيلاً، ولا يرجع ذلك لفضل بني آدم ولكن الله اختارهم دون مخلوقاته فكرمهم فهم يدينون له بهذا التكريم ولا يمتنون عليه بأنهم أفضل من غيرهم -أحمد 17171 عَنِ بُسَيْرِ بْنِ جَحَّاشٍ الْقُرَشِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَصِقَ يَوْمًا فِي يَدِهِ فَوَضَعَ عَلَيْهَا أُصْبُعَهُ ثُمَّ قَالَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَنِي آدَمَ أَنِّي تُعَجِّرُنِي وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ حَتَّى إِذَا سَوَّيْتُكَ وَعَدَلْتُكَ مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ وَالْأَرْضِ مِنْكَ وَئِيدٌ فَجَمَعْتَ وَمَتَعْتَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ التَّرَاقِي قُلْتَ أَتَصَدَّقُ - فانظر كيف بدأت من ماء مهين وعندئذ لن يكون هناك مجال لرياء أو كبر كما أنك حين توقع من قوله "والله خلقكم وما تعملون" تعلم أن الله هو الذي خلق عملك كما أنه هو الذي أعانك عليه فلماذا تطغى وكما أن الكرسي له مهمة حددها له صانعه تختلف عن مهمة السرير، تختلف عن مهمة البلاط أو السجاد الذي يوضع فوقه السرير، كذلك للإنسان مهمة تختلف عن باقي المخلوقات، وكما أن السجاد والبلاط سخره الصانع ليوضع السرير عليه، فقد سخر الله للإنسان الكون ليستطيع أن يؤدي مهمته التي خلق (صنع) من أجلها، ولذلك على المرء أن يطيع ربه ويؤدي حقوقه وإلا كان من حق الله أن يدمر صنعته وينشأ غيرها كما أن النجار إذا وجد الكرسي لا يؤدي مهمته لكسر فيه كان حراً إما أن يجبر الكسر أو يعرض عن

هذا الكرسي ويستبدله بآخر، وهو في الحالتين ليس بظالم ولعل ذلك -والله أعلم- معنى قول الله " وإن تولوا يبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم " فنسأل الله أن يجبر كسرنا ويعيننا على ما خلقنا من أجله وألا يستبدلنا بغيرنا .

- أن تحب المرء لله :فالله خلق الخلق وأمرك بحب بعضهم وبغض بعضهم فلأجل ذلك أنت تحب في الله كما أنك تحب من رأيت فيه صفة طيبة وهنا يجب أن تعلم أنك تحب هذا الرجل على هذه الصفة تعظيماً للخالق، وامثالاً لأمره، وشكراً له فهو الذي وهب عبده القلب النقي أو الصوت العذب أو الكلام المؤثر فلا تنشغل بالخلق عن الخالق وهذا يستوجب منك الدعاء لجميع الخلق أن يسيروا كما أراد لهم ربهم كما أنه يولد عندك حب دعوتهم إلى الخير وحب التعرف على هذه الخليقة "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير" 3722 الترمذي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْدُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ وَأَحِبُّوا نَبِيَّ اللَّهِ وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي بِحُبِّي " حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ * " فأنظر كيف يرجع الحب في الأصل إلى حب الله وحب ما يحب، فلا يحب لذاته إلا الله .

كما أننا يجب أن نقدر خلق الله أجمعين فلو أن هذا النجار قلت له إن هذا الكرسي قبيح لغضب منك ، فكيف بالله رب العالمين نسخر من خلقه أو نلمزهم أو نقول فيهم ما ليس فيهم وهو الذي أتقن كل شئ " صنع الله الذي أتقن كل شئ إنه خبير بما تفعلون " ومن هنا وجب علينا أن نود خلقه ونتقرب إليهم ونذكر أن هؤلاء كانوا طيناً فنتفكر فيهم ثم نتذكر أن فيهم نفخة من روح الله ، والله يوشك المرء أن يسلب عقله إذا تفكر في الناس ذاهبين وأيبين ، كل أولئك فيهم نفخة من روح الله فيا لهذا النفخة الربانية التي تغمر جنبات الأرض ما تنفس إنسي ليلاً أو نهاراً ، ولعل هذا يسكب في القلب السكينة خاصة إذا اشتد الزحام وكثر الناس ، فالكل ساعته ينشغل بالسباب والتأفف أما من يبحثون عن الله فينظرون إلى خلقه يتأملون ويسبحون في عجب أنهم يرون صنعة الملك أمامهم يشتمى الألوان والأشكال، فلو أنك سمعت عن مخترع صنع شيئاً لوددت رؤية هذا الشئ ، وقد تنفق الكثير من أجل هذا ، ولكننا لأننا اعتدنا رؤية البشر فما أصبحنا نستشعر أنهم صنعة رب العالمين، ولذلك ينظر المسلم إلى الزحام مبتسماً بينما يتأفف الناس وقد يسألك سائل ألا تشعر بالضيق مثلنا وساعتها تقول له بل إنني أتعجب من تلك النفخة من روح الله التي تحيطني الآن، ومن هذا المعرض

الغريب لمخلوقات الله التي خلقها بيده ولذلك فإن البشر يذكرونك بالله فهم أثر من آثاره فإنك إذا نظرت وأنت تسير في الشارع إلى الناس لاستشعرت صفة الخالق فهذا طويل وهذا قصير وهذا أبيض وهذا أسود ثم تذكر قوله "إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار واختلاف ألسنتكم وألوانكم آيات للعالمين" وانظر إلى صاحب الخلق العصبي والهادئ ثم قل "فتبارك الله أحسن الخالقين" فكثيراً ما يتعب المرء من الذكر فيسير في الشارع لا يفكر في شيء فأعمل الفكرة أخي الحبيب فإنها من أفضل العبادات، فانظر إلى نفسك وإلى الخلق من حولك واستشعر كيف أن هذا الخلق نشأ من طين، وأن فيه نفخة من روح الله وكيف أنه صنعة رب العالمين، كما أن المرء عليه أن يخدم هؤلاء الخلق بكل ما يستطيع، فلو أن وزيراً قال لك هذا ابني فاهتم به وارع شأنه لوضعت ذلك الولد في عينك وأعطيته كل ما يطلب، بل قد تزيد وتعطيه ما لم يطلب إكراماً منك، والله سبحانه وتعالى خلق الناس، والله يحب عباده وقال "ولا يرضى لعباده الكفر" بل لقد أخبر أنه يكون عند المريض إذا مرض، بالكيفية التي يعلمها هو وحده، ولم لا وقد علمنا أنه أرحم بعباده من الأم بولدها، والأم تسهر بجانب مريضها، والله أرحم بالمريض منها، فلا عجب أن يكون عنده بالكيفية التي لا ندركها ولكننا نؤمن بها بل لقد نسب المرض إلى نفسه جل في علاه فقال "مرضت ولم تعدني"، فهذا حال رب العالمين مع خلقه، أترانا بدأنا نحبه، ونسأله معرفته، ولذلك علينا أن نخدم كل خلقه، ونقضي لهم حوائجهم، ولم لا وهم خلق رب العالمين، ونستشعر في ذلك أننا نخدم بتوفيق الله وحده عباده لننال عنده أعلى مكانة، ولو تربينا على ذلك وربينا أبناءنا على ذلك لأصبح المجتمع ربانياً يتسابق أبناؤه لخدمة بعضهم البعض وهم لا ينظرون أن لهم فضل على من يبذلون لهم الخدمة بل كل نظرهم إلا رضى رب العالمين ويخشون أن يسيئون خدمة عباده فيطرحهم على الصراط ولا يبالي، ومن هنا كانت وصية رسول الله (ص) في بذل الخير لأهله ولغير أهله فهم خلق الله ونحن لا نخدمهم من أجلهم وإنما من أجل خالقهم، ومن آثار الإيمان بالخالق أنك:

- لن تستشعر الوحدة أبداً فحتى إن كنت في مكان ليس فيه أحد من إخوانك فإنك ستجد كل مخلوقاته ساجدة خاضعة فإذا نظرت إلى الشجر أيقنت أنه يسبح وإذا نظرت إلى الطير أيقنت أنها تسبح "تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً" وإذا نظرت إلى الشمس وقت

الغروب تذكرت حديث الرسول (ص) - البخاري 2960 عَنْ أَبِي
دَرَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لَأَبِي دَرٍّ جِئِ عَرَبَتِ الشَّمْسُ أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ قُلْتُ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ
فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا
وَتَسْتَأْذِنَ فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا يُقَالُ لَهَا اِرْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَطْلُعْ
مِنْ مَغْرِبِهَا فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا
ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) * فانظر كيف يذكر وقت الغروب
بقيام الساعة وشرق الشمس من المغرب وتأمل كيف
تسجد الخلائق لله في هذا الوقت وأنت أحياناً تكسل عن
الأذكار، أو تفضل حديثاً مع أخيك عنها فيا أخي الحبيب إذا جاء
وقت الغروب فزاحم المخلوقات بركبتك على أعتاب
العبودية، وأشهد الشمس وجميع الخلائق أنك حقاً عبد لله
وتذكر قوله "نعم العبد إنه أواب" ولا تنشغل بمزاح أو لهو في
وقت يعزف فيه الكون أرقى ألحان العبودية، عجباً! ألا تود
المشاركة في السيمفونية؟!

أحبابنا في الله نتوقف عند هذا الحد، لأننا ندعو إلى العمل بما
نعلم، ونستكمل الحديث عن آثار الإيمان بالخالق في الرسالة
القادمة بإذن الله، وأظن أننا الآن إذا سمعنا رنة الهاتف
سنبادر إلى رفع السماعة، عله يكون صاحب حاجة، ولعلك أول
ما ترفع الهاتف وتسمع حاجة أخيك ستقول بكل قلبك "لبيك
يا عبد الله"، عفواً... بل ستقول "لبيك يا ربي"، فلعل الله هو
الذي يريدك أن تقضي لعباده مصالحهم.

كما أنك إذا سرت في الشارع ورأيت شجرة فإنك قد تقف
بجانبيها وتذكر الله ذكراً كثيراً ولعلك تخاطبها وتقول لها ليس
في هذا المكان أحد يذكر الله إلا أنا وأنت في عصر العري
والفتن وساعاتها ستضع يدك عليها وتمررها على جذعها
وأنت تذكر الله ولعل دموعك تنسكب عليها ولعل بكاء الجذع
قد سبق بكاءك إذ سعد بوجود من يذكر الله في هذا الزمان
فيحن لك الجذع فتحضنه ويا لها من حالة إيمانية تحيا بها
القلوب .

"إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو
شاهد"

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته